(الاتجاه الإصلاحي عند الشيخ محمد رضا المظفر)

م .م محمد مرتضى محمد علي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف خلق الله محمد الرسول الأمي واله الطاهرين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...
وبعد :
لمدينة النجف دورٌ حضاري ومكانة متميزة على مستوى الفكر والثقافة الإسلامية الرائدة التي تجلت في موقف أعلامها بما سجله تاريخها الغابر والحاضر في تنمية العقل المسلم وتطوره وإعادة تشكيله وفق مقتضيات التفاعل والتلاقح والتأثير في صياغة الرؤى الإسلامية في ضوء مستجدات ما حصل على الساحة الفكرية مع تميزها في الحفاظ على الثوابت ووعي متطلبات المرحلة فحين واجه العالَم خطاب النهضة الحديثة كان لحاضرة النجف العلمية مساهماتها المؤثرة في العدة والعدد لاستقطاب المنجز النوعي في مفاهيم التجديد ومواكبة مسيرة الإصلاح والقرار المناسب في القضايا الاجتماعية والسياسية والمشاركة في تأسيس البنى الهادف لتحقيق تطلعات الأمة الناهضة بأسباب الرقي الذهني والوسطية في التقابل بين الأصالة والمعاصرة في مساحة متوازنة لتأصيل العلوم العصرية بما يقدم لمستقبل الأجيال زاداً معرفياً يستوعب هموم الناس والمجتمع ويسمو في عطائه الإنساني نحو تأصيل لغة الحوار مع الأخر والتسامح والمحبة والسلام.

فالنجف تحتضن في ترابها ثرى الأنبياء والأوصياء ع وأبوابها مشرعة لطلاب العلم لينهلوا من معارفها ما استطاعوا بجدهم فابتدعت النجف رجالاً كان لهم الأثر الواضح في مسيرة الإنسان ورقيه أخلاقياً أو أدبياً أو علماً جماً ، فمن هؤلاء نبغ الشيخ محمد رضا المظفر ؛ ليكون نوراً من أنوار مدينته التي ولدته فكان باراً بها ببذل قصارى جهده وإيثاره على نفسه دون النجف وأهلها .

وهذه الدراسة عرضاً موجزاً لأهم محطات وذكريات المظفر الإصلاحية في المجتمع الديني النجفي - المتمثل بحوزته وعناصره الفكرية - ورؤاه الحاضرة في زمانه والمستقبلية ـ كما تنبأ هو .

فتمثلت الدراسة بمقدمة تمهيدية للبحث ، ومن ثم عرضت عدة محاور بحثية شملت:

المبحث الأول : سيرته الشخصية .
المبحث الثاني ً: جهوده الاجتماعية والوطنية .
المبحث الثالث: أدبيات المظفر .
المبحث الرابع : جهوده في إصلاح المناهج والعلوم .

وخُتمَ البحث بخاتمة تضمنت أموراً لابد من التذكير بها تخص الشيخ عالماً ومجتهداً مجدداً وآثاره العلمية والإصلاحية ، ومن ثم ذكرت المصادر والمراجع التي أفادتني لانجاز البحث .

وأخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول : سيرته الشخصية :

الشيخ المظفر : هو محمد رضا بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ مظفر الصيمري الجزائري المظفر ... من آل مسروح أصل آل علي – من أهل العوالي : عوالي المدينة المنورة – من عرب المضريّة[1] .

ولادته :

ولد في مدينة النجف في يوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م ، وأمه الفاضلة بنت العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الطريحي (١٢٣٥هـ - ١٢٩٣هـ) .

عاش يتيم الأب إذ انه ولد بعد وفاة والده الشيخ محمد بخمسة أشهر ، فكفله أخوه الأكبر العالم الحجة الشيخ عبد النبي (ت ١٣٣٧هـ) ... وبعد وفاة أخيه الأكبر نشأ في ظل شقيقه الحجة المجتهد المرجع الشيخ محمد حسن (ت ١٣٧٥هـ) ، إذ فتح عينيه في بيت تعيش فيه أسرة آل المظفر – بعد وفاة أخيه الأكبر عبد النبي – وهم اخوانه الذين يكبرونه في السن : الشيخ محمد حسن ، والشيخ محمد حسين (ت ١٣٨١هـ) ، والشيخ محمد علي – كلهم يسكنون داراً واحدة : ولدوا فيها ، ونشأوا ترعرعوا في أفيائها ، وتزوجوا وأولدوا بها ، فبعد ان ضاقت بهم الدار اضطروا الى الانتقال منها [2].

نشأته العلمية :

كانت بدايات دراسته العلميّة منحصرة فيما تلقاه على أخويه : الشيخ عبد النبي ، وبعده الشيخ محمد حسن ، وبعد أن أتم مقدماته توجه لاستكمال مسيرته العلميّة فحضر عند الشيخ محمد طه الكرمي الحويزي – درسَ كتاب المطوّل ، وجملة من علم الأصول، وتعلم نظم الشعر .

ثم درسَ الفقه ، وعلم الأصول في مجلس أخيه الشيخ محمد حسن ، وحضره عند الشيخ الميرزا النائيني (ت ١٣٥٥هـ)، وكذلك الشيخ ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦٦هـ) .

وحضر في الفلسفة وعلم الأصول عند الشيخ محمد حسين الأصفهاني – المعروف بـ الكمباني (ت١٣٦١هـ) – فتأثر بطريقة هذا الأستاذ وانسجم معه في أفكاره وخواطره ، حتى كتب عنه – مشيراً الى تفاصيل استفادته العلميّة وأفكاره الإصلاحية – يقول : (كثيراً ما كان يوحي إلينا في الخلوة به من خواطره في سبيل إصلاح الحركة العلميّة والمجتمع الروحي ، ولم يكن يؤاتيه – أن ينهض بواحد منها ، حتى خسره العلم والدين عماداً لقبّة الإسلام ، وعميداً لخزّان الشريعة ، وإماماً للخلق ، وهادياً للحق ، ومصباحاً للمهتدين الى عين اليقين)[3]

وكذلك كان الحال بحضوره على العالم الربّاني السيد علي القاضي الطباطبائي : الذي كان له في حياة الشيخ المظفر وسلوكه الأثر الواضح ؛ لما كان يتمتع به هذا السيد الجليل من سيرة مثلى ونزعات إصلاحية .

وكان للشيخ المظّفر في حياته العلميّة تطلعات الى معرفة ودراسة العلوم الأخرى كالعروض ، والحساب ، والهندسة ، ومبادئ العلوم الطبيعية والرياضية [٤].

وانعكس هذا الجهد المتواصل في تلقي العلوم على الرسالة الإصلاحية التي حملها الشيخ على أكتافه ، وأوصلها الى طلبته ، والمجتمع النجفي ... ، إذ أسهم مع زملائه في تقويم مسيرة العلم والفكر والعقيدة .

وفاته :

وافته المنية في السادس عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨٣هـ/ ١٣- ١- ١٩٦٤ في الأرض التي ولدته ؛ بسبب نوبة قلبية أصابته فلم يستطع أهله وأصدقاؤه الوصول به الى المستشفى لمعالجته – فحمل همه معه في أكفانه ، ولم يستطع أحد من بعده أن يقوم مقامه في القيادة الفكرية والصلاحية التي خطاها طوال حياته .

المبحث الثاني : جهوده الاجتماعية والوطنية :

أهتم الشيخ وجماعته بتقويم المجتمع المسلم – بصورة عامة ومجتمع مدينته بصورة خاصة – إذ كانوا في طليعة القادة الدينين الذين بذلوا طاقاتهم في سبيل المصلحة الإسلامية من حيث شعورهم اليقظ ووعيهم المبكر لحاجات الأمة المسلمة وما تحتاجه لمواجه التحديات في مراحلها المختلفة .

فقد عُرف الشيخ بغيرته الدينية ، واتجاهه لإصلاح مجتمعه على أُسس الصلاح والتقوى والعمل الديني الصحيح البعيد عن المصالح والغايات الشخصية .

ومن المعروف إن للحوزات العلمية أثاراً تظهر سياسياً وثقافياً بصورة المواجهة والاصلاح والثورة ؛ لأن عالم الدين له العمق والأثر في الوسط الاجتماعي وهو الموجه الروحي للمسلمين ؛ فقد كان – الشيخ المظفر - في مشاريعه الإصلاحية أوقع أثراً على الشباب في داخل البيئة النجفية : التي كانت في صراع دائم مع الاستعمار ومشاريعه الاستبدادية والثقافية .

عاصر الشيخ المظفر الكثير من الحركات الوطنية والإسلامية – الإقليمية والعالمية – وكان له الأثر الواضح في التفاعل معها فكرياً وعاطفياً ، وصار يحسُ بها جزءً من كيانه ، ويمتزج بالثورات والدعوات الإصلاحية حتى يكاد أن ينكر ذاته في البين ، فخطواته الإصلاحية كانت بمثابة الحافز لرئيس والمباشر في تثبيت الوعي الإسلامي ، ودعم موقع المرجعية الدينية ومساهمتها في مشروع النهضة بخطوات تأسيسية فاعلة (٥) .

لقد عاش الشيخ آلام الأمة العربية الإسلامية منذ صباه وحتى قبل وفاته . فلم يشعر يوماً من الأيام إنه يعيش وحدة في عزلة اجتماعية في سرداب بيته المتواضع ، أو زاوية من مؤسسة منتدى النشر ، بل كان يشعر دائماً – بوضوح وقوة – انه جزء من الأمة الإسلامية يعنيه ما يعنيها من أمر ويمسه ما يعرض لها من سوءٍ والشواهد على ذلك كثير : فقد كان يجد في محنة فلسطين: محنة النفس الكبيرة التي تضيق بمثل هذا العداء السافر . وتأييده للثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي (١٩٣٠-١٩٦١م).
وقد تجلى ذلك أكثر في كتاباته- في حقل" اسمعني " المنشورة في بعض المجلات – وبرقياته الى الجهات الدولية المعنية (6).

أما العدوان الثلاثي الذي تعرضت له مصر العروبة – الذي تحملته وحدها وتحملت أوزاره في الأموال والأنفس- فقد كان وقع المحنة شديداً على جميع المسلمين ، فاستنكروه بشتى الوسائل المتاحة . وكان للشيخ المظفر دورٌ في التعبير عن هذه المحنة الأليمة التي حلت بالأمة المسلمة ، ورفضه لهذا العدوان السافر الذي بت الأمة في الصميم وهو لا يملك شيئاً للدفاع عنها غير الدعاء والابتهال الى

الله بالنصر والغلبة ، وقد أبرق – رحمه الله – البرقية التالية الى أخيه شيخ الأزهر وبعض الجهات السياسية :

بسم الله الرحمن الرحيم

محافل النجف الأشرف تعج صارخة إليه تعالى بدعائها لإنقاذ مصر المسلمة وتبتهل إليه أن يأخذ بنصركم ويرفع لواءكم ، والقلوب تقطر دماً من الاعتداء الصارخ الذي تقوم به وحشية أعداء الإسلام والإنسانية .
والمسلمون في جميع البلاد يد واحدة في شد أزركم ([7]) .

تشرين الثاني ١٩٥٦م
عميد كلية منتدى النشر

المبحث الثالث: أدبيات المظفر:

حاضنة النجف عُرفت بأدب خاص – شعراً أو نثراً أو خطابة – يصور الحالة الاجتماعية والسياسية السائدة – آنذاك – فلا ينفك أن يكون الفقيه أو طالب العلم شاعراً، أو خطيباً يسجل بصمته في تاريخ النجف أو العراق . والشيخ المظفر كان له الحضور البيّن في أغلب محافل النجف ليلقي شعراً ، أو كلمة يسجل بها موقفه كعالم أو مجتهد أو عميد للمؤسسات التي أنشأها .

وحينما نشأ المظفر في هذه البيئة النجفية – الأدبية - تمخض أديباً بارعاً ، وشاعراً ، مجيدا ، وهو في أسلوبه الأدبي يمثل تمازج التراث والمعاصرة [8].
ويذكر الشيخ في مذكراته : (وقد ألفت كتاباً في علم العروض سنة ١٣٤٣هـ على الأسلوب الحديث...) [9].

فهو: شاعر واسع الخيال ،دقيق النظر ، يتوخى المعاني البعيدة المبتكرة ، غير ناظر الى تزويق الألفاظ ، وتحسين الكلمات . دَّرسَ الأدب والشعر في نواديها الأدبية ومحافلها الشعرية ، وله في أوساط الأدب النجفي شهرة طائلة وذكر جميل [10].

وقد دخل ميادين النظم وهو مبكّر، وأجاد قرض الشعر وهو يافع ، وعرفته الأندية الأدبية شاعراً له وزنه بين أقرانه قبل أكثر من ربع قرن . وشعره متين في أكثره ، ورصين في معظمه . نزع في قسم منه الى تصوير بعض الخواطر الفلسفية والنفسية ...ونال استحسان الأدباء له [11].

وقد تناول في شعره أغراضاً متعددة من آفاق الأدب ، وفي طليعتها شعره في الرسول وأهل بيته – عليهم السلام- وله في الرثاء ، وأدب المناسبات والغزل ، والاخوانيات- قصائد.[12] ، كما أن له مقطوعات تنم عن رقته وعذوبة منطقه ، كان ينظمها على البديهة والارتجال ، وفيها يلمس القارئ النكتة البارعة والبراعة في تصوير الأدب بأسلوب ساخر معبّر فضلاً عن امتلاكه مقدرة عجيبة في التعبير نثراً عن المباحث المعقدة بأسلوب قصصي جذاب – كما يظهر ذلك من كتبه : عقائد الإمامية ، والسقيفة ، وأحلام اليقظة [13].
فمن شعره قصيدة في رثاء الإمام محمد الجواد عليه السلام : مطلعها :

حيِّ قلباً تذيبه الحسرات ... إنما الموت في التصابي حياة
كل ما تعرف الورى عن حياة (م) النفس في غير حبها منكرات

الى أن يقول :
ظلمات هذه الحياة ولا (م) مصباح إلا ما أوقدته الهداة
عنصر للوجود كونه الله ... فكانت بنوره النيرات

مثل النور والزجاجة والمصباح (م) أنتم وأنتم المشكاة
أنتم النور للكليم على الطور (م) وأنتم لأدم الكلمات
أنتم باب حطة من أتاه كان أدنى ما يرتجيه النجاة
وكفى مفخراً بغير ولاكم لا تتم الصلات والصلوات
بالإمام الجواد منكم تمسكت وحسبي من قدسه النفحات
حدث قلّد الإمامة فانقـــــا (م) دت لعلياهُ حكمة الحادثات
أبن سبعٍ ويا بنفسي قد (م) قام أماماً تُجلَى به الكربات
إن هذا السر الخفي وما (م) أجلاه تجلّى بنوره الظلمات
لا تخلْ ويك وهو في المهد طفل هذبته بدرّها المرضعات
هو نور من قبل أن تتجلّى بسنا الحقّ هذه الكائنات
جاء للأرض هادياً ونذيراً فتنزّلنْ بالهدى المرسلات
طاب في شهر طاعة الله مو لوداً فنيطت بحبه الطاعات
وصطفاه الاله للخلق قـــوّا ماً فقامت لفضله المعجزات

ثم يقول :

يا أبا جعفر وما أنت إلا البحر جوداً له الهدى مرســـاة
أنا عبد قد مسني الضر وافيت وهذي بضاعتي المزجاة
أتراني أعود في صفقة الخسر وانتم للمستجير الحمــاة
صمتُ عن حبّ ما سواكم لأزكو وكذا الصوم للأنام زكاة
عذب الله امةً جعجعت فيكم مقاماً قامت به الـكـائنـات
قد تصابوا الى لظى غضب (م) الجبار صُبّت عليهم اللعنات
عنكم حادت العبيد فسادت أأبى الدهر ان تسود الأباة
يا ولي الأقدار كيف جرى المقـ دور حتى عدّت عليك العداة

المبحث الرابع : جهوده في اصلاح المناهج والعلوم :

سعى الشيخ المظفر سعياً دؤوباً في إصلاح المجتمع النجفي وبما يحتويه من عناصر ثقافية ، فقد كان شجاعاً جريئاً ، منتفضاً على التقليدية : التي عفا عنها الزمن ، وأصبحت لا تتلاءم ومتطلبات العصر الذي كان يعيش الصراعات المريرة في الفكر والثقافة .

ويمكن ان نوجز تلك الجهود الإصلاحية باستعراض لأهم الأدوار التي قام بها في شرح العلوم الدينية شرحاً وافياً ـ يجمع المعلومة الخاصة بكل علم جمعاً ينم عن فهم يستغرق كلياته ، ويوصله بقالب جديد يهيئ لطالب العلم الرغبة في تعلمه ومن ثم تطبيقه على أرض الواقع ـ ما اِستطاع الجهد من أدائه .

أولا : تأليف كتاب المنطق :

يعد كتاب (المنطق) المنهج الأمثل الذي حل محل"الحاشية" و "شرح الشمسية": اللذين كانا يدرسان في الحوزات العلمية ، وبأسلوبهما التقليدي القديم .
فقد أجاد فيه التوفيق بين ما يسميه هو بمنطق الفلاسفة والمنطق الدارج [14].
وأضفى اطلاعه توافره على الإحاطة بدراسات الفلسفة واهتمامه بتدريسه لتلاميذه سواء في جلسات درسه الخاص الذي كان يعقده لخاصة طلابه ، أو محاضراته التي ألقاها في أكاديميته العلمية (كلية الفقه) ، وإن هذه الدروس الفلسفية خلت بحد الإمكان – من التعقيدات اللفظية والمبهمات المعنوية التي توجد غالباً في تأليف من كتب قبله في هذا الموضوع [15].

ثانياً : المنهج الفلسفي عند المظفر:

يجد الباحث في قراءة السيرة العلمية للمظفر اِنه أتجه منذُ بواكير حياته العلمية نحو الاهتمام بدراسة العلوم العقلية والحكمة ، وقد تهيأت له فرص البحث والدراسة والوقوف على دقائق هذه العلوم المعقدة التي تحتاج الى التأمل والفحص والتروي عند الإحاطة بالأفكار التي تطرح في مباحثها [16].
ومن حسنات الدهر أنه أحرز خلال حياته الدراسية توفيقاً يتمثل في أصالة المكوّن الذاتي لشخصيته وهمته العالية المتجذرة من الواقع العلمي والتربوي لأسرته الكريمة المنبت ؛ التي اِنطبعت سماتها على متبنياته الفكرية ، وارتسمت فيما خطه وسجله بقلمه ، وما كسبه من ثمرة تحصيله بحضوره على الأفاضل من أهل الفن والاختصاص ، مع قوة شغفه ، والجاذبية الروحية ؛ لما عُرف من وفائه لأساتذته ؛ مما أثرى تطلعه الى الاستزادة من الدقة والتنقي جب بدرجة طغت على مفردات اهتماماته في شتى ما خطط له من مناهج وآليات ، أو فيما كتبه ونشره من دراسات وبحوث [17].

ولا أدل على ذلك من اهتمامه وسعيه الدؤوب في ضرورة التفكير الى إعادة النظر في المنهجية التي يجب التماسها في عرض الفكر الكلامي التراث العقيدي والرؤى الفلسفية لبنية الفكر الإسلامي الحديث في مواجهته لخطاب النهضة الحديثة إبان القرن الماضي ، وإبراز الدور المعرفي الضخم الذي تميزت به مدرسة النجف بروائع اتجاهاتها الفكرية ، والأيدلوجية ، وملاحقتها لمستوى التطور في الساحة العلمية : إسلامياً وعالمياً ، حيث نراه يعيش هذا الهم الكبير ولذا نراه يقرر بقوله:

(نحن اليوم في قمة الصراع العقائدي ، والفكري الذي يستهدف فيه القضاء على البقية الباقية من الإسلام ، وكل مسلم مؤمن برسالة الدين الإسلامي لابد أن يشعر شعوراً عميقاً بأن عليه واجباً ثقيلاً ينوء به الأبطال المجاهدون من الرجال)[18].

فهو هنا يشحذ الهمم لمحاربة أعداء الدين الإسلامي ، والتصدي لكل منْ يحاول المساس باللحمة الاجتماعية الوطنية ؛ لتحقيق مكاسب آنية شخصية من غير النظر الى الأفق البعيد الذي يطمح المخلصون الى تحقيقه ـ مصلحة الدين الإسلامي وأهدافه السامية .

ومما يُبرز جهده الفلسفي بهذه المتانة والاستيعاب وحضوره الأبحاث العالية في أصول الفقه والفلسفة عند أستاذ الفن الأُصولي العارف الشيخ محمد حسين الكمباني الأصفهاني (١٢٩٦هـ ـ ١٣٦١هـ) ، حيث لازمه ملازمة قوية دامت خمسة عشر عاماً ، وانطبع بكثير من آرائه في الأصول والفلسفة ، وكتب الكثير من أبحاثه ودروسه ، فقد ترسم خطى منهجيته لدراسة الأصول في كتابه (أصول الفقه) ، وتقسيم مباحثه : الذي يمتاز بتبويبه الحديث الذي استفاده من أستاذه .
ومن كتبه التي نهج بها نهج التجديد ـ في الفهم ، والمنهج ، والعرض ـ كتاب (أحلام اليقظة) : الذي استعرض فيه الشيخ ـ بأسلوب بليغ يصطنع الحوار القصصي ـ لفلسفة صدر الدين الشيرازي ـ ملا صدرا (ت ١٠٥٠هـ) ـ وهو فهم استفاده من أستاذه الحكيم الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني الذي كان ـ على نحو التحدي ـ يقولها : (لو أعلم أن أحداً يفهم فلسفة ملا صدرا أكثر مني لشددت إليه الرحال . لو أعلم أحدا يفهم أسرار كتاب الأسفار لشددت إليه الرحال للتلمذة عليه وإن كان في أقصى الديار)[19].
وكأنه يريد أن يفتخر أنه وحده بلغ درجة فهم أسراره أو أنه بلغ درجة من المعرفة أدرك فيها عجزه عن اكتناه مقاصده العالية [20].

وله أيضاً آثارٌ فلسفية أخر: دراسته لـ(فلسفة ابن سينا) ، وبحوثه الرائدة في حرية الإرادة ، ومسألة القضاء والقدر ، ودراسته عن الفيلسوف الكندي ، يضاف إليها محاضراته التي ألقاها في قاعات الدرس في مؤسسته كلية الفقه (١٩٥٨ – ١٩٦٢م) ، حيث تناول فيها : مباحث الوجود ، ومباحث الوجود الذهني ، ومباحث العلة والمعلول ، وفي السنة الدراسية (١٩٦١ – ١٩٦٢) درّسَ الفلسفة

وعلم الكلام - على شكل محاضرات في كلية الفقه ، والتي طبعت فيما بعد بعنوان (الفلسفة الأسلامية).

ولا يمكن أن نغفل - بحال – كتابه الهادف (عقائد الأمامية) فقد جدّد فيه بالمنهج ، والأسلوب ، فكتبه بعقلية الرجل الرسالي الغيور على دينه ومذهبه ، وكان هدفه من تأليفه إيصال حقيقة مذهب آل البيت عليهم السلام وعقائدها الى منْ يجهلها ، أو يفهمها خلافاً للحقيقة . فهو كتاب حقيقة لا كتاب مذهب ، كما أنه جلّى كثيراً من عقائد أهل البيت عليهم السلام لمن غابت عنه من شيعتهم وأتباعهم ، وما زال الكتاب سائداً في الأفاق يطبع مرة بعد أخرى ، ولم يؤلف كتاب يحل محله ، أو يحقق هدفه بعد قرابة قرن على تأليفه .
ولا بد أن نأتي على كتابه (السقيفة) الذي نحا فيه منحىً جديدا في العرض والتأليف .

كما يجد الدارس لحياة المظفر العلمية وجهوده الفلسفية تأثير دراسته للفلسفة على اسلوب بقية ما أهتم به وسجله من تراجم الأعلام الى مقدمات الكتب التي دوّن تصديراً لها[21].

ثالثاً: جهوده الفقهية والأصولية : **أ – جهوده الفقهية :**
ب- جهوده الأصولية:

أ – جهوده الفقهية:
دأب الشيخ المظفر طوال حياته العلمية على تهذيب نفسه بالتفقه في دين الله وشريعته ، إذ تدرّج في طلب العلم – بمؤازرة أخويه : الشيخ الكبير عبد النبي ، والشيخ المجتهد محمد حسن ، وغيرهما من أساتذة عصره الأفذاذ – حتى عُد مجدداً فمن جهودِهِ الفقهية الميسرة : حاشية على كتاب المتاجر للشيخ الأنصاري ، وحاشية المكاسب للشيخ الأصفهاني ، تحقيق كتاب (الحج) من شرح قواعد الأحكام لأخيه الشيخ محمد حسن المظفر ، كما قدم الشيخ بقلمه لكتب فقيه عدة منها : كتاب تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ، وكتاب (جواهر الكلام) للشيخ محمد حسن النجفي ، وكتاب رسالة الإجارة للشيخ الأصفهاني، رسالة عملية في العبادات ، كتاب المواريث .

ب- جهوده الأصولية:
إن كتاب (أصول الفقه) الذي أصبح في أكثر من حوزة أو معهد منهجاً تدريسياً الى جنب كتاب (المنطق) ويمتاز هذان الكتابان بتوافرهما على عنصري : التعليم والتربية ، وهما العنصران المطلوب توافرهما في المقرر الدراسي ، وقد فتح الشيخ المظفر بعمله هذا الباب لمن جاء بعده ، ومهد الطريق ، فكان كتاب (الأصول العامة للفقه المقارن)للسيد محمد تقي الحكيم ، ثم كتاب (المعالم الجديدة) و

(دروس في علم الأصول) للسيد الشهيد محمد باقر الصدر ، الذي طوّر فيه التبويب ، وفي المادة بإضافة احدث ما انتهت إليه مدرسة النجف الحديثة من نظريات جديدة في علم الأصول . إلى غير ذلك من محاولات التجديد والإصلاح في التأليف العلمي التي تتابعت بعده . وقد قدّر لكتابي الشيخ محمد رضا هذين : المنطق ، وأصول الفقه أن يدرّسا في كثير من الحوزات والمعاهد حال حياته . وهذا أمر نادر الحدوث في حياتنا العلمية . وهذا يدل على أن الكتابين لهما قوة علمية - هي قوة الشيخ العلمية – بحيث أنسَيَا ما قبلهما من مؤلفات (وما كان لله ينمو) .

رابعاً : جهوده العلمية الأخرى :

للشيخ جهود علمية في أكثر من حقل من العلوم المختلفة ،يضاف الى ما قدمناه أعلاه :

أ- إسهاماته في التقديم لكتب منْ سبقه من الأعلام :

١- كتاب تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ).
٢- كتاب جامع السعادات للمولى النراقي (ت ١٢٠٩هـ).
٣- كتاب جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ).
٤- كتاب الأسفار المتعالية للفيلسوف ملا صدر الدين الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ).
٥- كتاب مشهد الأمام لمحمد على جعفر التميمي – في تاريخ النجف .
٦- كتاب تاريخ الكوفة للسيد حسون البراقي (ت ١٣٣٦هـ).
٧- كتاب تاريخ الديوانية للحاج وادي العطية .
٨- كتاب مالك الأشتر للسيد محمد تقي الحكيم (ت١٤٢٩هـ).
٩- منظومة في الحكمة (تحفة الحكيم) للشيخ محمد حسين الأصفهاني (ت ١٣٦١هـ).
١٠- لقصيدة الأزرية وتخميسها للشيخ جابر الكاظمي .
١١- رشحات الفيوض في علم العروض للشيخ علي الجواهري .(ت١٣١٨هـ)
١٢- رسالة الإجارة للشيخ الأصفهاني [٢٢](ت ١٢٦١ هـ).
١٣- صور الحياة للمؤلف ضياء سعيد الكيشوان.
١٤- الغدير في الإسلام/ محمد رضا فرج الله النجفي.
١٥- كتاب العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم والدنانير، تأليف السيد موسى الحسيني المازندراني.
١٦- كتب بقلمه منشورات جماعة العلماء في النجف حول انتهاك الشاه المقبور لحرمة المقدسات الإسلامية ومحاربته للمرجعية الدينية [٢٣].

ب - بحوثه ومقالاته :

كان الشيخ المظفر وفيراً في مقالاته وبحوثه التي نشرت في كثير من الصحف والمجلات آنذاك منها :

١- الشيخ الطوسي (نشر ملخصه في مجلة النجف) للأعداد ٤-٥-٦-٧ السنة الثانية ١٩٥٨.
٢- فلسفة الكندي (نشر في مجلة النجف العدد ٨ السنة الخامسة ١٩٦٣ الافتتاحية.

٣- الزعيم الموهوب السيد ابو الحسن الأصفهاني (نشر في مجلة الدليل النجفية).
٤- محاضرات في التفسير (نشر قسم منها في مجلة الرضوان).
٥- معجزة الإمام علي في علمه (بحث موسع القي في مهرجان اقيم في باكستان سنة ١٩٥٧ في مولد الإمام علي (ع) نشر في مجلة النجف ومجلة الرضوان الباكستانية.
٦- بين النجف وجامعة القرويين (بحث القي في المغرب في المؤتمر الذي أقيم هناك سنة١٩٦٠ وشارك فيه الشيخ (رحمه الله) ونشره في عدة مجلات.
٧- اسمعني : (خواطر) مجموعة مقالات نشر أكثرها في مجلة النجف والهاتف.
٨- ديوان شعر : جمعه واعده للنشر السيد محمد رضا القاموسي - وله ايضاً مخطوطة من ديوانه الشعري في مكتبة الشيخ عبد الحسن الغراوي.
٩- مقالة عن الصحافة في مجلة النجف.
١٠- توجيهات إلى طلاب كلية الفقه / نشرت في مجلة النجف.
١١- حرية الإنسان وارتباطها بقضاء الله/ نشرت في مجلة النجف.
١٢ -علي مع الخلفاء :نشر في كتاب (أسبوع الإمام) ثم الحق بكتاب السقيفة.
١٣-مذكرات مخطوط نسخة منها في مكتبة الشيخ عبد الحسن الغراوي.
١٤- آراء صريحة - مخطوط لم ينشر.
رسالة في الدفاع عن صدر الدين الشيرازي (رحمه الله) وردَّ ما وجه اليه من تهم نشرها السيد حسن الأمين في ترجمة الشيرازي من أعيان الشيعة لوالده العلامة الحجة السيد محسن الأمين.
١٥- نظرية المعرفة عند الإمام علي(ع)، العدد ٤ س١ ، ١٩٥٧ مجلة النجف.
١٦- حرية الفكر والإسلام (دراسات إسلامية)، العدد ١ س١، ١٩٥٦ مجلة النجف.
١٧- معجزة أمير المؤمنين في علمه الأعداد ٨، ٩، ١٠، س١، ١٩٥٧ / بحث فلسفي.
١٨- مع الحجاج العدد ٣ السنة الاولى، ١٩٥٧ (بحث اجتماعي ديني). النجف.
١٩- ذكرى مولد الإنسانية الرفيعة، العدد ١٧ س٢ ١٩٥٩ مجلة النجف.
٢٠- نظام منتدى النشر.
٢١- العدالة والإسلام، العدد ٨ س٤ ١٩٦١ مجلة النجف.
٢٢- مقالات ورسائل ونقود متفرقة نشرت أكثرها في مجلات متفرقة منها الهاتف والنجف والدليل والعرفان اللبنانية والاعتدال والبيان والهدى والكحلاء والفكر ومجلة المجمع العلمي العراقي والمرشد والنهج اللبنانية والرسالة القاهرية والرضوان الباكستانية [٢٤].

الخاتمة

أختم بحثي مؤكداً على أمور تجلت واضحة في شخصية الشيخ المجدد ومنهجه في الإصلاح وهي :

١- قدرة الشيخ المظفر على تحسس الأوضاع من حوله ، وما جُبل عليه فطرياً من رغبته في التطور والتجديد ، ومن ثمار توجهاته الإصلاحية العمل المؤسساتي المتمثل بجمعية منتدى النشر ، وما انبثق عنها من مؤسسات : ككلية منتدى النشر ، وكلية الخطابة ،وكلية الفقه ، وما صاحبها من مشاريع فكرية كإصدار المجلات ، وطبع الكتب والندوات .

٢- لقد تميزت دراساته بالجدّة والإحاطة الموضوعية والوصول الى نتائج تنمّ عن إلمام واسع واضطلاع في محصلة الأفكار المطروحة فقد توصل- رحمه الله – الى نتائج في غاية الدقة والصوابية سواء بما طرحه من أفكار ، أو ما تطلع إليه تأليفه للمنطق وأصول الفقه اللذان يمتازان بتوافرهما على عنصري : التعليم والتربية ، وقد قدر لهما أن يدرسا - في الحوزات والجامعات والمعاهد الأكاديمية – حال حياته ، وهذا أمرٌ نادر الحدوث في حياتنا العلمية .

٣- إعداده لطلبة يمثلون طليعة المفكرين والعلماء من رواد النهضة الحديثة في العراق وخارجه – فعد بذلك رائد الإصلاح والتجديد في الفكر الديني والعمل الإسلامي .

٤- في طيات كتبه علمٌ جم وفي مذكراته تاريخ ثر وبين اسطر الصفحات أسرارٌ وطلاسم – تبدو واضحة المعالم – لا يستطيع تفسيرها ومعرفة أهدافها وأغراضها واختياراتها الدقيقة إلا العالم الفطن .

ومن الله التوفيق

هوامش البحث

[1] - محبوبة : ماضي النجف وحاضرها ٣/ ٢٦٠.؟؟. الزر كلي : الأعلام ٦ / ١٢٧ .
[2] - محمد جواد الطريحي : مقدمة عقائد الأمامية للشيخ المظفر : ١٣٨.
[3] - محمد رضا المظفر : مقدمة (حاشية المكاسب) ١ / ١٣ .
[4] - محمد جواد الطريحي : مقدمة عقائد الأمامية للشيخ المظفر : ١٣٩.
[5] - ظ : محمد مهدي الآصفي : مدرسة النجف : ٨٦ ، محمد جواد الطر يحي : مقدمة عقائد الأمامية للشيخ المظفر :١٥٠.
[6] - محمد مهدي الآصفي : مدرسة النجف : ٨٦ – ٨٧ .
[7] - نفسه : ٨٨ .
[8] - ظ : محمد جواد الطريحي : مقدمة عقائد الأمامية للشيخ المظفر : ١٦١ - ١٦٣.
[9] - محمد رضا القاموسي : مذكرات المظفر (مخطوط) . ظ : محمد جواد الطريحي : مقدمة عقائد الأمامية للشيخ المظفر : ١٦٣.
[10] - ظ : محمد جمال الهاشمي : الأدب الجديد : ١٣٠-١٣٣
[11] - ظ : علي الخاقاني : شعراء الغري ٨ : ١٥١ – ٤٨٤.
[12] - ظ : نفسه .
[13] - ظ : محمد جواد الطريحي : مقدمة عقائد الأمامية للشيخ المظفر : ١٦١ - ١٦٤.
[14] - ظ : المظفر : المنطق (المقدمة) .
[15] - ظ : المظفر : أحلام اليقظة (المقدمة) : ٤٧ – ٤٨ .
[16] - ظ : نفسه : ٤٥ .
[17] - ظ : نفسه .
[18] - المظفر .
[19] - السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة ٩ / ٣٢١- ٣٢٢ .
[20] - ظ : نفسه
[21] - ظ : المظفر : أحلام اليقظة (المقدمة) : ٥٠ .
[22] - ظ : محمد جواد الطريحي : مقدمة عقائد الأمامية للشيخ المظفر :؟؟؟، الندوة الفكرية (مجموعة بحوث عن الشيخ المظفر ومآثره) / جامعة الكوفة - ١٩٩٧ ، حسين كاظم : الشيخ محمد رضا المظفر وجهوده العلمية : ٢١- ٢٢.
[23] - ظ : المصادر نفسها .
[24] - ظ : المصادر نفسها .

المصادر

- السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١) : أعيان الشيعة
تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان ١٩٨٣ م .
- محبوبة : ماضي النجف وحاضرها
- محمد رضا المظفر : مقدمة (حاشية المكاسب)
- محمد مهدي الآصفي : مدرسة النجف
- محمد رضا القاموسي : مذكرات المظفر (مخطوط)
- محمد جمال الهاشمي : الأدب الجديد
- علي الخاقاني : شعراء الغري
- الشيخ محمد رضا المظفر : المنطق (المقدمة)
- الشيخ محمد رضا المظفر : أحلام اليقظة (المقدمة)
- حسين كاظم : الشيخ محمد رضا المظفر